

حوار مشرقى مع هواري بومدين (1) لن نكون فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين ... لكننا سنقف إلى جانب المقاومة إذا اختلفت مع الآخرين



في التسلسل هموم الجزائر هي: الهموم الداخلية، وهموم المغرب، وهموم الشرق. وفي الخطاب الذي ألقاه الرئيس هواري بومدين في الذكرى العاشرة للتصحيح الثوري (19 حزيران/ يونيو 1965) ظهر هذا التسلسل واضحاً. الهموم الداخلية والمغربية إستحوذت على 99 في المئة من الخطاب وما تبقى (أى واحد في المئة) كان لهوموم المشرق.

وفي التسلسل، الهموم الداخلية هي إستكمال عملية بناء الدولة الحديثة، ثم التعريب. ولقد حدث نوع من الخل بالنسبة إلى عملية بناء الدولة بسبب الموقف الذي إتخذته الجزائر في حرب رمضان وهو موقف لم يعد سراً لأن الرئيس أنور السادات ردّه غير مرة. فالمساهمة الضخمة التي قدمتها الجزائر إلى كل من مصر وسوريا كانت على حساب عملية البناء الشاملة. ونتيجة لذلك ومن أجل رفع عملية البناء إلى مستوى العمل الثوري فإن الدولة الجزائرية تشد الحزام وقد تضطر إلى الإستعانة بقروض.

ومشاغل الرئيس بومدين منذ مدة طويلة كثيرة. الأمر نفسه بالنسبة إلى سائر المسؤولين الجزائريين الذين بدوا كأنهم في حالة إستنفار.

وعندما أبلغني الدكتور محيي الدين عميمور المسؤول عن الإعلام في الرئاسة أن مشاغل الرئيس بومدين لا تسمح بأكثر من لقاء لنصف ساعة حذفت من المواضيع التي كنت أرغب في طرحها، ما هو متعلق بالقضايا الداخلية والمغربية، خصوصاً أن الرئيس بومدين سيتحدث في إسهاب عنها في خطاب ذكرى 19 حزيران.

وفي ركن من المكتب المتواضع الذي يصرف فيه الرئيس بومدين ساعات طويلة في الليل والنهار كان اللقاء الذي حضره الدكتور عميمور.

سألت الرئيس بومدين: أين الجزائر مما يجري الآن في المشرق العربي؟ هل توافق على أنها تقف موقف المتأمل وهذا ليس الدور المنتظر منها؟

أجاب: هل في إستطاعة الجزائر أن تغير شيئاً من الأوضاع؟
قلت إن موقف الجزائر في هذه المرحلة لا يتلاءم مع الموقف الذي إتخذته خلال حرب 1973.
قال: هنالك في المشرق العربي أطراف كثيرة. وقد تمتزج القضايا الوطنية (الإقليمية) بالقضايا القومية. مرة يطفو الجانب القومي وهذا سبب الغموض.

وعندما يقرر رئيس دولة بحكم صلاحيته أن قضية في عينها هي قضية وطنية لا يعود هنالك مجال للنقاش. ونحن لا نكتفي بمسايرة الأحداث بل نؤثر فيها بحكم قناعاتنا القومية. ومواقفنا لا تنطلق من إنفعالات سياسية بل تخضع لمبادئ ثابتة. في حرب 1967 مثلاً كانت الأوضاع منهاراً مئة في المئة. ولم يكن موقفنا مفهوماً آنذاك حتى من جانب النخبة المثقفة في المنطقة التي لم تحاول دراسة الموقف الجزائري بكل أبعاده لكنها إختارت الطريق الأسهل وإعتبرت موقف الجزائر مغالاة. بل هناك من إعتبر هذا مزيدة.

سألت: هل معنى ذلك أن موقف الجزائر في حرب 1973 كان رداً على موقفها في حرب 1967؟

أجاب: لا، ليس رداً. وإنما هو إستمرار للخط نفسه الذي نؤمن به. بالنسبة إلى حرب 1973 قال لنا الإخوان إنهم سيجربون وقلنا لهم نحن مستعدون لأداء دورنا كاملاً في المعركة. ولقد وفينا بكل إلتزاماتنا في هذا الصدد.

قلت: في ضوء ما يجري حالياً، ما هو الخط السياسي الذي تعتمده الجزائر؟

قال: نحن نرى أن أطراف القضية ثلاثة: مصر وسوريا والمقاومة الفلسطينية. ونحن نؤيد كل خط تتفق عليه هذه الأطراف. أما إذا وقع خلاف بين المقاومة الفلسطينية وأحد الطرفين الآخرين فإننا نقف إلى جانب المقاومة. وفي الوقت الحاضر ليس هنالك خلاف جوهري بين الأطراف الثلاثة. هناك بعض التباينات فقط، لكنها لم تصل إلى مستوى الخلاف الجوهري. وفي ضوء الموقف الراهن لا يمكن أن نكون مصريين أو سوريين أكثر من السوريين أو فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين. ولقد قلنا رأينا في وضوح للاخوة الفلسطينيين. وإذا حدث أن أعلنت المقاومة الفلسطينية أن الأمور تسير نحو الحل التصفوي وأن هنالك إنحرافاً فإننا سنعلن على الفور تبيننا لوجهة نظر المقاومة من دون أن نحاول خلق موقف خاص بنا.

قلت: ما الذي تقصده بـ «الموقف الخاص»؟

قال: موقف مختلف عن موقف المقاومة أو متناقض معه، كأن نقول لقيادة المقاومة الفلسطينية «أنتم مخطئون في هذه السياسة» أو «لا بد من تغيير سياستكم». لن نقول ذلك لسبب بسيط هو أننا نكره الوصاية. لقد كان موقفنا عام 1967 الرفض كما ذكرت، وكان هذا موقف المقاومة الفلسطينية التي كانت تعيش ظروفاً لعلها أصعب من ظروفها اليوم، لكنها قاومت وأصبح لها وزنها الحقيقي خصوصاً في الفترة التي تلت 1967.

سألت: هل إن الفريق الفلسطيني الذي هو خارج «فتح» ومنظمة التحرير الفلسطينية يمثل شيئاً بالنسبة إلى الجزائر؟

أجاب: نحن لا نتجاهل أحداً، نعتقد أن التباين القائم داخل الساحة الفلسطينية نفسها يزيد الأمور تعقيداً، ان هنالك مشاكل بسيطة يمكن حلها ضمان الحد الأقصى من الوحدة الوطنية.

قلت: ألا ترون في التناقض الفلسطيني أو في التباين القائم على الساحة الفلسطينية، ظاهرة صحية؟

قال: في المرحلة الحالية لا أعتقد أنها ظاهرة صحية، ذلك أنه لا بد أن يكون هنالك تجمّع فوري حول قضيتين فقط هما قضية الشعب وقضية الأرض. إن الكفاح يجب أن يكون أساساً من أجل إثبات وجود الشعب الفلسطيني كشعب وككيان، والتخلص من كل وصاية وتفاذي تحوّل الإختلاف في وجهات النظر إلى نوع من الإرتزاق من أنظمة حاكمة. وأنا أحاول تحليل الأوضاع لإصدار الأحكام أو إتخاذ المواقف، وأقول إن الأسلم بالنسبة إلينا جميعاً هو إتخاذ موقف الحياد من المقاومة والتعفف عن خلق فئات فلسطينية تنتمي إلى الاحزاب العربية. وليس سراً أن أقول إن وسائل ضغط كثيرة مورست على السلطة الفلسطينية في المنطقة. لقد قلنا ونقول دائماً إن على الفلسطيني أن يثبت وجوده من دون إنتماء إلى غير قضية التحرير، ورأى البعض ان هذا يقود إلى العزلة القومية. ونحن لا ننقق مع هذا التحليل بحكم تأثرنا بتجربتنا الجزائرية ونتائجها. لقد جمعنا في أثناء حرب التحرير كلمة الإستقلال. وكنا ندرك أنه كلما إشتد الكفاح تحولت الفكرة الوطنية إلى فكرة ثورية. ان كفاح حرب التحرير كان مبريراً وهو الذي أنبت بذور الثورة لا بد قبل كل

شيء من العمل على إبراز كيان الإشتراكية. إذاً، لا بد قبل كل شيء العمل على إبراز كيان الشعب الفلسطيني كشعب، أما الخلافات العقائدية فإنها تأتي في وقتها.

قلت: في المناسبة ما الذي أنجزته الثورة الفلسطينية إلى الآن في رأيكم وفي ضوء تجربتكم؟
قال: لقد فرضت نفسها على العرب وعلى العالم، وأصبح من المتعذر اليوم إن لم يكن من المستحيل إيجاد حل حقيقي للمشكلة في معزل عن الطرف الفلسطيني. حتى الحل المرحلي لا يمكن أن يتم من دون موافقة الفلسطينيين ومباركتهم. وهكذا أصبح للمقاومة وجود مؤثر في الساحة العربية ولم تعد القضية الفلسطينية مجرد شيء تبتته الدول العربية.
ومن الناحية الدولية هناك الآن وجود لفلسطين ولإصطلاح الوطن الفلسطيني، وإقتنع العالم في درجات مختلفة بأن لا علاج للمرض المزمن ما لم يتم إعطاء شيء للطرف الفلسطيني، وهذه كلها مكاسب يجب الحفاظ عليها وتطويرها.

نُشرت هذه الحلقة من الحديث في صحيفة «النهار» - عدد الأحد 15 يونيو/ حزيران 1975

حوار مشرقى مع هواري بومدين (2)

لا يمكن واشنطن أن تفرض حلاً أميركياً

ما لم توافق عليه مصر وسوريا



نصف الساعة المقرر للمقابلة قارب الإنتهاء، وما زال هنالك الكثير للتحديث في شأنه مع الرئيس هواري بومدين، وسألته هل في الإمكان مواصلة هذا الحوار المشرقى، فأجاب مرحباً.

قلت: ما يجري في الوقت الحاضر، بل منذ زمن طويل، هو السعي لتحقيق حل مرحلي لأزمة الشرق الأوسط، هل تعتقدون في الجزائر أن تحقيق مثل هذا الحل ينهي أو يجمد الصراع مع إسرائيل؟

أجاب: أياً تكن الحلول، ستظل القضية قائمة إلى حين إيجاد الحل الحقيقي، والحل الحقيقي يكون بخلق الظروف التي يعود فيها الفلسطينيون الى حدود فلسطين التاريخية ليعيشوا ويتعايشوا مع سائر الطوائف الأخرى، عدا ذلك فإن أي حلول يمكن التوصل إليها إنما هي حلول مؤقتة، من شأنها إطالة مدة الهدنة من دون إنهاء الحرب. بل إنني أتساءل عما إذا كان الغرب يعتقد حقيقة بإمكان بقاء إسرائيل على الأرض العربية الى ما لا نهاية، وأنا أميل إلى الاعتقاد أنه يريد كسب الوقت فحسب أو إنقاذ ما يمكن إنقاذه إذا صح التعبير. لقد أقيمت دولة للصليبيين على الأرض العربية لكنها على رغم طول المدة بقيت مستعمرة أجنبية وإنتهى بها الأمر إلى الإضمحلال، ولم يكن هذا لمجرد ظهور صلاح الدين الأيوبي في الجسد طال الوقت أم قصر، ولن تتمكن من القضاء عليه. ولقد مرت المنطقة العربية بأحلك الظروف التاريخية، ومرت بمرحلة الإنحطاط والاستعمار لكنها لم تضل، ربما تفككت أوصالها لكنها بتاريخها وعاداتها ورصيدها الثقافي لا تزال كما هي.

وهناك شيء آخر. لا بد أن نتخلص من الشعور بالنقص، لقد تغيرت أشياء كثيرة في العالم العربي خلال هذا القرن. كانت المنطقة كلها مستعمرة ما عدا اليمن والأراضي المقدسة، لكن الإستعمار زال واستقلت مصر والعراق

وسوريا وليبيا والجزائر وإمارات الخليج... الخ. وكان الجهل يخيم على المنطقة. وتغيرت الأحوال ودخل نور العلم والمعرفة إليها، وقامت نهضة جديدة بالإعتبار، وخرجت المجتمعات من مرحلة البداوة إلى عصر الحضارة. وإلى ذلك هناك نهضة إقتصادية ملموسة، والعرب الذين كانوا يوصفون بالفقر المدقع أصبحوا قوة مؤثرة في المجال الإقتصادي، وأصبحوا يتحكمون في العامل المادي» وللمال تأثيره على كل شيء... حتى على العقائد. وهذه كلها عناصر إيجابية، ومن الطبيعي أن نركز على السلبيات ونحن نحلل أوضاعنا بغية الرقي بها ولكن يجب أن نتقأى الصور القاتمة. وهكذا وتبعاً لهذا التحليل، عندما نضع الجزيرة الإسرائيية في المحيط العربي فإن إمكانات إستمرارها في الحياة محدودة جداً.

الوحدة والإتحاد

قلت: ثمة محاولة في المشرق لإقامة وحدة أو إتحاد بين سوريا والأردن، تنضم إليها أو إليه مستقبلاً المقاومة الفلسطينية، أو الكيان الفلسطيني الذي يجري سعي لإقامته. ما هو رأيكم في مثل هذه الخطوة الوحدوية؟

قال: إذا كان القصد هو وضع العرب في مركز القوة خلال هذه المرحلة فالتحرك السوري -المصري سليم لأنه قد يساهم في التخلص من الرواسب الموجودة إستعداداً لمواجهة ما هو أخطر وأهم. ولكن يجب أن ندرك ان التحرك السياسي شيء وقضية الوحدة شيء آخر، لأن الإنتقال من حالة القطيعة إلى وضع الوحدة مباشرة لا يتعدى أن يكون تحركاً سياسياً.

سألت: هل تقول ذلك على أساس أن شروط الوحدة غير متوافرة؟

أجاب: يجب أن تكون الوحدة تتويجاً لعمل موجود، ولا بد أن تسبقها أشياء تمهيدية وإنجازات وحدوية في كل الميادين الثقافية والإقتصادية والسياسية لكي تقوم الوحدة على أسس موضوعية متينة وتكون بناءً ثابتاً وراسخاً.

أميركا والعرب

قلت: ما هي نظرتكم، أو ما هو تحليلكم للتحرك الأميركي بالنسبة إلى أزمة الشرق الأوسط، والتحرك العربي في إتجاه أميركا. وهل تعتقدون أن في الإمكان فرض حل أميركي للأزمة وهل يُكتب لمثل هذا الحل النجاح والقبول؟

قال: من الضروري أن نسأل أنفسنا أولاً: من هي أميركا وكيف كان موقفها بالنسبة إلى القضية العربية؟ لقد دعمت أميركا إسرائيل ومدّتها بكل وسائل التفوق، ولهذا فإن إسرائيل تستأسد لأنها تعتمد أساساً على أكبر قوة دولية أميرالية. أميركا إذاً، حتى هذه الساعة، لم تعط أي دليل حقيقي على صداقتها للعرب. وهذا ما يسلم به كل رجل صادق أياً تكن عواطفه ونياته. إن أميركا مصالح ضخمة في المنطقة سواء كان ذلك في الميدان السياسي أو الإستراتيجي أو مجال الطاقة والإقتصاد. وهدفها الرئيسي هو الإبقاء على هذه المنطقة في إطار ما كان يسمى «العالم الحر» لتكون قاعدة للحلف الأطلسي. ومنذ الخمسينات ظهر عنصر جديد في المنطقة هو إهتمام الإتحاد السوفياتي بها ومحاولته كسب اصدقاء فيها والحصول على بعض المراكز على أرضها. وهذا العنصر الجديد يثير قلق الولايات المتحدة والغرب. ووقعت حرب 1956 وكانت نتائجها السياسية مفيدة لأنها أذكت جذوة الوطنية وزادت من حماسة الأحرار في المنطقة وعجّلت إنهيار أحلاف وسقوط أنظمة كانت تدين بالولاء التام للغرب.

لكن حرب 1967 أدخلت شكاً كبيراً في المنطقة وفتحت الأبواب لقوى وعناصر تعمل في نوع من التحالف مع أميركا والغرب. ولقد أثبتت حرب رمضان أمراً بالغ الأهمية هو أن العرب قادرون على القيام بشيء يخدم مصالحهم كعرب، كما أثبتت أن المقاتل العربي لا يقل كفاية عن أي مقاتل في العالم إذا أُتيحت له الشروط الموضوعية التي تمكّنه من أداء واجبه كمقاتل.

ولكي تكتمل الصورة التحليلية لا بد من أن نضيف إلى ما سبق قضية الطاقة التي دعمت تضحيات المقاتلين في الميدان، والتضامن العربي الذي تجلّى في صورة مشرفة وكان له أثره الفعال في سير المعركة.

وهنا يظهر دور الولايات المتحدة في محاولة إستقطاب الموقف لمصلحتها، إنها تقول إن في إستطاعة السوفيات تسليحكم وفي إستطاعة الأوروبيين أن يصدرُوا معكم البيانات السياسية لكنني (أي أميركا) وحدي القادرة على إستعادة أراضيك المحتلة.

إلاً أنني أقول إنه إذا كانت هنالك تطورات إيجابية في المنطقة فهي بفضل الحرب وبفضل التضحيات ونتيجة

للضغط الذي حققه التضامن وليست بفضل أميركا. بل يمكن القول إن أميركا حاولت إجهاض نتائج الحرب. ونحن في الجزائر كنا نفضل أن تستمر الحرب. إن الامور كانت ربما ستتعد أكثر لو إقترب الإسرائيليون من دمشق أو القاهرة، لكن التجنيد العربي كان سيبلغ درجته القصوى. ونحن منذ العام 1967 نادينا بتوسيع رقعة الحرب لأننا نرى في ذلك الإضعاف الحقيقي لإسرائيل. إن الولايات المتحدة تعمل الآن لتحقيق هدفين متكاملين. الأول هو أن يكون الحل أميركياً من أجل تحقيق الهدف الثاني وهو إستقطاب المنطقة كلها وتحقيق السيطرة الأميركية عليها. وهذا ليس الهدف الذي ضحى العرب ويضحون من أجله. ولا أعتقد أن تلك هي نية القاهرة أو دمشق أو المقاومة الفلسطينية.

وأنتكر الآن حديثاً مع المرحوم الرئيس جمال عبدالناصر بعد هزيمة 1967. لقد قال لي: هل تعتقد يا أخ بومدين أن الأميركيان حايسيبوني هذه المرة؟ لقد كانوا يحاولون منذ مدة إصطياد الحوت الكبير الذي هو مصر وتمكنوا من إصطيادها هذه المرة وسيحاولون الحفاظ عليها بكل وسيلة. وكان عبدالناصر ينظر بعيداً. وعلى رغم نوبات التشاؤم التي كان يمر بها فإنه كان يتماسك ويُعد العدة للحرب. إن الولايات المتحدة قد تحاول إعطاء شيء للفلسطينيين لكن الهدف هو دائماً الإستيلاء على المنطقة العربية خصوصاً بعد هزيمتها في الهند الصينية، وإنهيار سياستها في تايلاند، والتطور الذي يحدث في الفيليبين، وإنشطار باكستان، والإنتفاح الأميركي على الصين على حساب تايوان. ولن يكون في قدرة الولايات المتحدة كقوة فرض الحل الأميركي في المنطقة العربية إلا إذا إلتزمت مصر وسوريا به ووافقا عليه.

إن الإنسحاب الإسرائيلي الذي حدث كان نتيجة للحرب. وإذا لم يتواصل الإنسحاب فلا بد من حرب خامسة، والثابت الآن هو أن إسرائيل لا يمكنها حسم الصراع عسكرياً لمصلحتها كنا نتمنى ان تستمر الحرب حتى في ظروف صعبة، إلا أن ذلك لم يحدث، وليس في إستطاعتنا أن نفرض ذلك على أحد، لكننا نتساءل: هل طرأت على المنطقة تطورات جوهرية تفرض علينا تغيير موقفنا جوهرياً؟ سألت: هل توافق على أن السعي لتحقيق حل لأزمة الشرق الاوسط يرافقه إنحسار الشعور القومي ونمو الشعور الإقليمي؟

أجاب: هذه نزوات. وليس في إستطاعة أي بلد عربي مهما بلغ حجمه أن يعيش منعقلاً على نفسه. إنه لا يستطيع أن يتنفس إقتصادياً وسياسياً إلا من خلال العالم العربي كله. وهو يخنق نفسه ذاتياً إذا هو حاول حرمان نفسه من رثته الطبيعية. قلت: هل أنتم في الجزائر مطمئنون إلى أن الحل الاميركي لا يمكن فرضه مع أن كل الدلائل تشير إلى العكس؟

قال: أرى أن من الصعب فرض حل لا توّازره الشعوب العربية. إن الشعب السوري وأنا أعرفه جيداً لا يمكن أن يقبل بأي حل، والشعب المصري على رغم مشاكله الإقتصادية لا يمكن أن يهضم كل ما يُقدّم إليه. إعادة فتح القناة

قلت: ما هو موقف الجزائر من إعادة فتح قناة السويس؟

أجاب: الرئيس السادات قال في صريح العبارة إن إعادة فتح القناة قضية وطنية تهم مصر وحدها. وعلى هذا الأساس فليس عندي ما أقوله. لقد ساهمنا ونساهم بكل قوانا من أجل تحقيق هدف كبير هو على الأقل تحقيق أقصى ما يمكن من المكاسب في هذه المرحلة.

قلت: منذ مدة قريبة قام وزير خارجيتكم السيد عبد العزيز بوتفليقة بجولة عربية، هل كانت تلك الجولة ترمي إلى طرح أفكار معينة؟

قال: الهدف من الجولة كان القيام بإتصالات لتكوين فكرة كاملة عن الوضع في المنطقة. وقبل طرح الأفكار لا بد من معرفة المناخ.

سألت: ألا تعتقد أن الإستمرار في حظر النفط كان سيحقق مكاسب لم تتحقق نتيجة لرفع الحظر؟

أجاب: على رغم أننا كنا متضررين إلا أننا كنا نتمنى أن يستمر الحظر. لقد إحترمنا الآخرون عندما ضربناهم على الوتر الحساس، وقلنا لهم في صراحة إنه لا بد من أن تهتموا بمشاكلنا قبل أن تطالبونا بالإهتمام بمشاكلكم،

ويجب من أجل التفاهم أن نتكلم اللغة نفسها. إنكم تقيمون الدنيا وتعدونها لأنكم إضطررتم إلى خفض درجتين في حرارة الغرف، أو لأنكم «ضحيتم» بعطلة نهاية الأسبوع في الوقت الذي يعاني الكثير من بلدان العالم الثالث المشاكل الإقتصادية وسوء التغذية ومشاكل التنمية. لقد كنا في الجزائر مع استمرار الحظر لكن المعنيين بالأمر قالوا إنه لا بد من رفع الحظر لأن هذا يخدم القضية. وجاريناها.

بعد ساعة ونصف ساعة إستقرقها هذا الحوار المشرقي مع الرئيس بومدين، خرجت من مكتبه مقتنعاً بأن في صدر هذا «الغيفاري» أشياء كثيرة لا بد أن يقولها ذات يوم..

نُشرت هذه الحلقة من الحديث في صحيفة «النهار» - عدد السبت 28 يونيو/ حزيران 1975

